

تفسير ابن كثير

فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ^ج فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ^ط نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ

لما رجعت المرأتان سراعا بالغنم إلى أبيهما ، أنكر حالهما ومجيئهما سريعا ، فسألهما عن خبرهما ، فقصتا عليه ما فعل موسى ، عليه السلام . فبعث إحداهما إليه لتدعوه إلى أبيها قال الله تعالى : (فجاءته إحداهما تمشي على استحياء) أي : مشي الحرائر ، كما روي عن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه ، أنه قال : كانت مستترة بكم درعها . وقال ابن أبي حاتم : حدثنا [أبي ، حدثنا] أبو نعيم ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن عمر بن ميمون قال : قال عمر رضي الله عنه : جاءت تمشي على استحياء ، قائلة بثوبها على وجهها ، ليست بسلفع خراجة ولاجة . هذا إسناد صحيح . قال الجوهرى : السلفع من الرجال : الجسور ، ومن النساء : الجريئة السليطة ، ومن النوق : الشديدة . (قالت إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا) ، وهذا تأدب في العبارة ، لم تطلبه طلبا مطلقا لئلا يوهم ريبة ، بل قالت : (إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا) يعني : ليشبك

ويكافئك على سقيك لغنمنا ، (فلما جاءه وقص عليه القصص) أي : ذكر له ما كان من أمره ، وما جرى له من السبب الذي خرج من أجله من بلده ، (قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين) . يقول : طب نفسا وقر عينا ، فقد خرجت من مملكتهم فلا حكم لهم في بلادنا . ولهذا قال : (نجوت من القوم الظالمين) . وقد اختلف المفسرون في هذا الرجل : من هو ؟ على أقوال : أحدها أنه شعيب النبي عليه السلام الذي أرسل إلى أهل مدين . وهذا هو المشهور عند كثيرين ، وقد قاله الحسن البصري وغير واحد . ورواه ابن أبي حاتم . حدثنا أبي ، حدثنا عبد العزيز الأوسي ، حدثنا مالك بن أنس ؛ أنه بلغه أن شعيبا هو الذي قص عليه موسى القصص قال : (لا تخف نجوت من القوم الظالمين) . وقد روى الطبراني عن سلمة بن سعد العنزي أنه وفد على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال له : " مرحبا بقوم شعيب وأختان موسى ، هديت " . وقال آخرون : بل كان ابن أخي شعيب . وقيل : رجل مؤمن من قوم شعيب . وقال آخرون : كان شعيب قبل زمان موسى ، عليه السلام ، بمدة طويلة ؛ لأنه قال لقومه : (وما قوم لوط منكم ببعيد) [هود : 95] . وقد كان هلاك قوم لوط في زمن الخليل ، عليه السلام بنص القرآن ، وقد

علم أنه كان بين موسى والخليل ، عليهما السلام ، مدة طويلة تزيد على أربعمئة سنة ،

كما ذكره غير واحد . وما قيل : إن شعيبا عاش مدة طويلة ، إنما هو - والله أعلم -

احتراز من هذا الإشكال ، ثم من المقوي لكونه ليس بشعيب أنه لو كان إياه لأوشك أن

ينص على اسمه في القرآن هاهنا . وما جاء في بعض الأحاديث من التصريح بذكره في

قصة موسى لم يصح إسناده ، كما سند ذكره قريبا إن شاء الله . ثم من الموجود في كتب

بني إسرائيل أن هذا الرجل اسمه : " ثرون " ، والله أعلم . وقال أبو عبيدة بن عبد الله بن

مسعود : وأثرون وهو ابن أخي شعيب عليه السلام . وعن أبي حمزة عن ابن عباس : الذي

استأجر موسى يثرى صاحب مدين . رواه ابن جرير ، ثم قال : الصواب أن هذا لا يدرك

إلا بخبر ، ولا خبر تجب به الحجة في ذلك .